# كيف لا يكتب التاريخ ؟

Dupuy, Trevor N. and Paul Martell, *Flawed Victory; The Arab - Israeli Conflict and the 1982 War in Lebanon,* Fairfax, VA.: HERO Books, 1986, 247 Pages

كتب العقيد الاميركي المتقاعد تريفور دوبوي في تقديم كتابه «النصر المشوب: النزاع العربي ـ الاسرائيلي وحرب العام ١٩٨٢ في لبنان»، وذلك بعد وفاة شريكه المؤلف بول مارتيل، معرّفاً هدفهما بانه اعداد «ملحق لكتاب ' النصر صعب المنال؛ النزاع العربي ـ الاسرائيلي، ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ' * من اجل تمديد ذلك المسح للحروب العربية ـ الاسرائيلية لعقد اضافي من الزمن... ولتقديم... سرد... عن لبنان كأداة في النزاع العربي ـ الاسرائيلي، قبل، وبعد، وخاصة خلال، العام ١٩٨٢» (ص XIV). ويتضح من التقديم، وأيضاً من شدة التشابه بين بعض فصول الكتاب وبين مقالات سابقة لدوبوي، ان مساهمته وميوله قد سيطرا على النص الجديد.

تتوزع فصول الكتاب «النصر المشوب...» الخمسة والعشرون على ثلاثة اقسام. يدور القسم الاول، وهو بعنوان «لبنان والنزاع العربي ـ الاسرائيلي»، حول التشكيل التاريخي للبنان حتى ظهور منظمة التحرير الفلسطينية واندلاع الحرب الاهلية اللبنانية، لينتقل، بعد ذلك، الى الصراع الثلاثي الاسرائيلي ـ الفلسطيني ـ السوري الذي دار على ارض لبنان حتى العام ١٩٨١. ويركز القسم الثاني، قصراً، على حرب العام ١٩٨٢، بينما يتعقب القسم الثالث، بعنوان «الازمة المزمنة»، آثار الحرب حتى العام ١٩٨٤.

لقد كُتب النص باسلوب واثق تأكيدي، يشبه نص الكتاب السابق «النصر صعب المنال...»، الا ان الاسلوب الحازم هذا يطبق في بناء تاريخ سياسي وليس عسكرياً. لذلك، يقع المؤلفان في طرح المزاعم غير المدعومة، والتعميمات غير المبررة، حول الوقائع التاريخية وابعادها. بل وسرعان ما يتضح ان الكتاب لا يحتوي على اية هوامش بتاتاً، وهو الامر الشائع في الروايات العسكرية التي يقدمها الكتاب «المستقرون»، كدوبوي وادغار أو بالانس، حيث يصعب تثبيت مرجع لكل معلومة تفصيلية. الا ان فقدان التثبيت، وحتى الادلة، لدعم التأكيدات الشاملة يشكل ثغرة هامة في نص تاريخي سياسي؛ اذ ان الاستنتاجات اللاحقة حول القضايا الخاضعة للجدال الشديد تستند، في العادة، الى ما سبق من طروحات.

وبالتالي، يعج القسم التاريخي في كتاب «النصر المشوب...» بالحقائق الخاطئة، وبالاضافات، أو الاهمالات، ذات الدلالة السياسية؛ فيؤكد المؤلفان، على سبيل المثال، هكذا ودون ذكر اي مرجع، ان «المسيحيين اللبنانيين والكثيرين من السكان الدروز والمسلمين... فضلوا الحكم الفرنسي على حكم الامير فيصل الهاشمي ومناصريه القوميين العرب ـ السوريين» في العام ١٩١٩ (ص ٩). والواضح ان دوبوي ومارتيل يجهلان، تماماً، الشعار الذي رفعه الوجهاء المسيحيون في جنوب لبنان، مثلاً، في ذلك العهد: «حكم التركي ولا حكم بكركي» (المدعوم من فرنسا).

ليس فقط ان مثل هذه الجملة تتناقض، جزئياً، مع عبارة اخرى تؤكد ان المسلمين اللبنانيين كانوا

* ألّفه تريفور لوحده، وأُصدر في لندن عن دار ماكدونالد أند جينز، ١٩٧٨.